

أضواء البيان

7 ! @ 153 @ 7 ! قوله تعالى : { فَقَدَدُ لَبِثْتُ فَرِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ .
أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . .

في هذه الآية الكريمة حجة واضحة على كفار مكة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث إليهم رسولا حتى لبث فيهم عمرا من الزمن . وقدر ذلك أربعون سنة ، فعرفوا صدقه ، وأمانته ، وعدله ، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذبا على الله تعالى ، وكانوا في الجاهلية يسمونه الأمين ، وقد ألقمهم الله حجرا بهذه الحجة في موضع آخر ، وهو قوله : { أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنْ قَبْلِهِمْ فَيَسْتَفِئُوهُمْ فَهُمْ لَهُمْ كُفَرَاءٌ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرًا مِّنْ دُونِ أَمْرِ اللَّهِ لَافْتَدَوْا بِهِمْ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيهِمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِمْ } ولذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ، ومن معه من صفاته صلى الله عليه وسلم ، قال هرقل لأبي سفيان : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : فقلت : لا ، وكان أبو سفيان في ذلك الوقت زعيم الكفار ، ورأس المشركين ومع ذلك اعترف بالحق ، والحق ما شهدت به الأعداء . .

فقال له هرقل : فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله .
اه . .

ولذلك وبخهم الله تعالى بقوله هنا : { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . .
قوله تعالى : { إِنَّ زَنْدًا مِّثْلُ الْقَدِيبَةِ الدُّنْيَا كَمَا آءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ } إلى قوله : { لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } . .
ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للدنيا بالنبات الناعم المختلط ببعضه ببعض ، وعما قليل يبس ، ويكون حصيدا يابساً كأنه لم يكن قط ، وضرب لها أيضاً المثل المذكور في (الكهف) في قوله : { وَاصْطَرَبَ لَهُم مَّثَلُ الْقَدِيبَةِ الدُّنْيَا كَمَا آءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ } إلى قوله : { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا } ، وأشار لهذا المثل بقوله في (الزمر) : { ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلَّذِينَ هُمْ عَلَى آلِهِمْ أَشَدُّ لُبًّا } ، وقوله في (الحديد) : { كَمَا مَثَلُ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا } : .
تنبيه .

التشبيه في الآيات المذكورة عند البلاغيين من التشبيه المركب ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء ، وهو كون كل من المشبه والمشبّه به يمتك ما شاء الله ، وهو في إقبال

وكمال ، ثم عما قليل يضمحل ويزول ، والعلم عند الله تعالى : .

قوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا } : .

ذكر في هذه الآية الكريمة ، أنه يوم القيامة يجمع الناس جميعاً ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . .